المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 29-10-2007
الصفحـات : 14
العـــدد : 12554
المسلسل : 99

ملف صحفي

جولة خادم الحرمين الشريفين

العلاقات السعودية البريطانية.. عمق تأصل بالصداقة والمصالح المشتركة

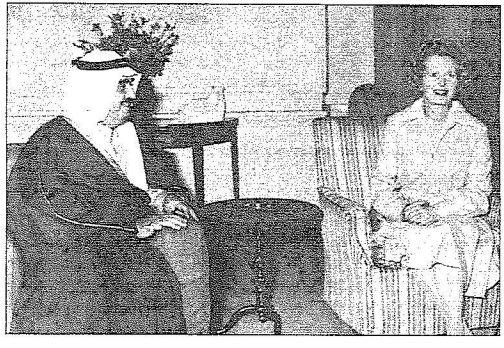

المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 29-10-2007 العـــدد : 12554
الصفحـات : 14 المسلسل : 99

ارتبطت السعودية بعلاقات متميزة مع الدول العظمى منذ تأسيسها على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن (طيب الله ثراه)، الذي أعطى دروساً عدة في العلاقات الخارجية. ومن أهم هذه الدول بريطانيا، التي حرصت على علاقتها مع المؤسس منذ انطلاقته الأولى من الكويت لاسترداد حكم الأسرة السعودية عام 1319هـ (1902). وكان للظرف التاريخي كلمته في تلك الفترة قبل استرداد الرياض، حين التقى الملك عبدالعزيز بمسؤولين بريطانيين في تلك الفترة، حين كان في الكويت، التي كانت تربطها ببريطانيا معاهدة حماية. استفاد المؤسس كثيراً مما رآه في الكويت، لذا كان يفكر ملياً في خطواته المقبلة مع هذه الدولة العظمى، التي تعرف الكثير في فن العلاقات، والتعامل مع حكام الإمارات العربية في الخليج العربي والمنطقة العربية. لذا حين رأى الملك عبدالعزيز -رحمه الله- هذا العقد البريطاني الملتف حول الجزيرة العربية، من معاهدات مع الإمارات العربية والأقاليم حول الجزيرة العربية، علم أنه لزاماً أن يوجه سياسته مع بريطانيا على أساس حذر، بحيث لا يخسر ولا يعادي في الوقت نفسه، بل على العكس كان يسعى إلى تكوين صداقة مع بريطانيا، خصوصاً أن الظروف العالمية تلك الفترة، تتجه إلى تقسيم العالم إلى فسطاطين قبل الحرب العالمية الأولى. في المقابل أيضاً، اضطرت الحكومة البريطانية منذ فترة مبكرة من التاريخ الحديث والمعاصر إلى تكوين علاقات مع دول الشرق، خصوصاً بعد أن باتت الهند تحت مظلة التاج البريطاني، الذي عدّها درة له، وأصبحت بريطانيا من بعدها توجّه سياستها الخارجية من خلال تأمين الطريق إلى درة التاج البريطاني. ولعل دول الخليج العربية كانت ضمن تلك الدول التي اهتمت بريطانيا بها وبعلاقتها معها، خصوصاً أنها تود الاطمئنان على أمن البحار بالنسبة إليها، ومن هذه البحار الخليج العربي، وضبط مسألة الخروج والدخول منه. والسعودية إحدى تلك الدول الخليجية المؤثرة في سير الأحداث في الخليج والجزيرة العربية بشكل عام، لذا ستهتم بريطانيا حتماً بهذه القوة منذ نشأتها.

× منذ أن استرد الملك عبدالعزيز الرياض، حرص على الاتصال مع بريطانيا من خلال المقيم السياسي البريطاني في الخليج، فأول رسالة رسمية من الملك عبدالعزيز كانت في العام الذي استرد فيه الرياض 1902، حيث أرسلها للمقيم البريطاني كمبال، وفحوى الرسالة كانت تتحدث عن إبرام اتفاقية بين بريطانيا والملك عبدالعزيز. ومن ثم توالت الاتصالات بين القوتين بشكل مباشر، خصوصاً في الفترة بين عامي 1913-1911، وبرز لبريطانيا أن الملك عبدالعزيز شخصية مهمة في الخليج، خصوصاً بعد أن ضم الأحساء، وبات قريباً من المصالح البريطانية في الخليج، خصوصاً البحرين.

ومن أهم الشخصيات البريطانية التي كان لها علاقة مع المؤسس في تلك الفترة المبكرة، المعتمد السياسي في الكويت الكابتن شكسبير، الذي ظل يطالب حكومته بسرعة التوقيع على معاهدة مع الملك عبدالعزيز في فترة الحرب العالمية الأولى، وتحديداً ازداد طلبه من المقيم السياسي في الخليج بيرسي كوكس عام 1915، حيث طلب تخويلاً لتوقيع الاتفاقية مع الملك عبدالعزيز. والمهندس لهذه الاتفاقية شكسبير، لقي حتفه مع قوات الملك عبدالعزيز في موقعة «جراب»، ما عمل على تأجيل إبرام الاتفاقية فترة من الزمن، ومن ثم أرسل كوكس الاتفاقية للملك عبدالعزيز، الذي عدل عليها بعض التعديلات، وأعادها إلى المقيم، ومن ثم التقيا الملك وكوكس في بلدة دارين (بالقرب من القطيف شرق السعودية) في شهر ديسمبر عام 1915، وتم توقيع الاتفاقية، وصودق عليها من قبل الحكومة البريطانية في 18 يوليو 1916.

تطور العلاقات

بعد دارين سارت العلاقات السعودية البريطانية بشكل متصاعد، خصوصاً أن الأحداث العالمية فرضت التواصل المستمر، من ظرف الحرب، والمشكلات التي كانت تواجه الجزيرة العربية، لعل أهمها الثورة العربية الكبرى التي قام بها الشريف حسين بن علي في الحجاز ضد الدولة العثمانية، ومحاولة الدولة العثمانية إيجاد ما يضمن بقاءها في الجزيرة العربية. لكن في عام 1918، اتخذت العلاقات منحاً من التوتر، لأسباب لعل أهمها، عدم تفاعل بريطانيا مع بعض القضايا التي كانت تدور في الجزيرة العربية، خصوصاً أن مصالحها من بعض القضايا لم تكن ذات بال، لذا كانت ترى الحكومة التراخي فيها، ما أدى إلى توتر العلاقات نوعاً ما. كذلك حدوث بعض المشكلات داخل الجزيرة العربية التي أهلت إلى وجوب توقيع معاهدة جديدة، تضمن للسعودية وبريطانيا تلطيف العلاقة بينهما، والسعي نحو السير بخطى واضحة.

معاهدة جدة

وقعت معاهدة جدة بين الملك عبدالعزيز والحكومة البريطانية في عام 1927، وركزت هذه المعاهدة على الصداقة بين الحكومتين وحسن التفاهم من أجل تثبيت وتقوية العلاقات الودية السائدة بينهما، وتوثيقها وتأمين مصالحها وتقويتها، وقد وقع المعاهدة من الجانب السعودي نائب الملك في الحجاز ابنه الأمير فيصل، وعن الحكومة البريطانية السير جلبرت فلكنجهام كلايتن.

ومن أهم ما جاء في المعاهدة التأكيد على إشاعة السلم في المنطقة، والصداقة بين الدولتين، كذلك تعهد السعودية بتسهيل أداء فريضة الحج لجميع رعايا بريطانيا والأشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية من المسلمين أسوة بسائر الحجاج، وأن يكونوا آمنين على أموالهم وأنفسهم أثناء إقامتهم في الحجاز. كذلك من أبرز ما أكدت عليه الحكومة البريطانية في هذه المعاهدة الحفاظ على علاقات السلم والود بين السعودية والكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العماني (عمان)، والإمارات العربية المتحدة حالياً)، أيضاً التعهد بمحاربة تجارة الرقيق.

والملاحظ أن بريطانيا خلال تلك الفترة، كانت تكبل دول الخليج وغيرها بمعاهدات حماية (استعمارية)، ولكنها مع الملك عبدالعزيز كانت تتعامل تعامل الند للند، على اعتبار أن المؤسس كان يعد نفسه نداً لبريطانيا. وربما أن شخصية الملك عبدالعزيز وهيبته لدى الدول العظمى والصديقة، كانت لها بالغ الأثر في تعامل هذه الدول معه على أنه ند.

لقاء المؤسس بتشرشل

بعد اللقاء الذي عقده الملك عبدالعزيز مع الرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت عام 1945 في قناة السويس، وتحديداً في منطقة البحيرات المرة، أصر رئيس الوزراء البريطاني المستر ونستن تشرشل على لقاء الملك في الوقت نفسه، ذلك للتعرف على ما دار من حوار بينه وبين روزفلت، خصوصاً أن الصراع البريطاني الأميركي بدأ يطفو على السطح في الشرق خلال تلك الفترة. وبما أن الملك عبدالعزيز كان شخصية محورية في الأحداث العالمية في الشرق، فإن لقاء روزفلت له في هذه الفترة بعد الحرب العالمية الثانية، يعد مخوفاً لبريطانيا، التي تسعى إلى الحفاظ على مكتسباتها في المناطق العربية.

استقبل الملك عبدالعزيز تشرشل في فندق الأوبرج في مصر بعد لقائه بروزفلت بيوم واحد، وقد انفرد الملك عبدالعزيز وتشرشل ببعضهما في اللقاء، وقد كانت نتائج هذا اللقاء، التأكيد على سياسة الصداقة بين البلدين، والتأكيد على مضامين المعاهدة الموقعة بينهما.

الزيارات الرسمية بين البلدين

بعد وفاة الملك عبدالعزيز -رحمه الله- سارت العلاقات السعودية

المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 29-10-2007 العـــدد : 12554
الصفحـات : 14 المسلسل : 99

البريطانيـة علـى أكمـل وجه في عهـد الملك سـعود -رحمـه الله- وسارت العلاقة بشكل طبيعي.

- فـي العـام 1967 قـام الملـك فيصل بـن عبدالعزيز -رحمه الله- بزيـارة إلـى بريطانيـا بنـاء على دعوة من الملكـة اليزابيث الثانية، وخلال هذه الزيـارة للملك فيصل، التقـى رئيس الـوزراء البريطاني هارولد ويلسـون، وتناولا مصلحة البلدين وتوثيق العلاقة والروابط والصداقة، وأناب الملك فيصل خلال الزيـارة وزيـر الدفـاع والطيـران السـعودي الأميـر سـلطان بـن عبدالعزيز بزيارة مصانع الطائرات التـي تنتـج الطائـرات النفاثـة لسـلاح الطيران الملكي السعودي، كجزء من مشـروع الدفـاع الجوي، مثل طائـرات التدريب، وطائرات (لايتنج).

- أمـا الملك خالد بـن عبدالعزيز -رحمـه اللـه- فقـد زار بريطانيا مرتين خـلال فترة حكمـه، وذلك فـي عـام 1977، التي أجـرى فيها عمليـة جراحية في رجله اليسـرى، والثانية كانت في عام 1981، بدعوة من الملكـة اليزابيث الثانية، وخلال هـذه الزيـارة أجـرى الملـك خالد محادثات رسمية مع رئيسة الوزراء البريطانيـة مارجريـت ثاتشـر، وتركزت المباحثات حول سبل دعم العلاقـات الثنائية بـين البلدين، وزيادة آفاق التعـاون بينهما في المجالات المختلفـة. وفي عهد الملك خالد كانت أول زيارة رسمية ملكية بريطانيـة إلى السـعودية، وذلك بعد أن زارت الملكة اليزابيث الثانية السعودية عام 1979، بدعوة من ولي العهد السـعودي في تلك الفترة الأمير فهد بـن عبدالعزيز. كذلك زيارة رئيسـة الـوزراء البريطانية مارجريت ثاتشر عام 1981.

- وخـلال عهـد الملـك فهد بن عبدالعزيـز -رحمـه اللـه- زار بريطانيا عام 1987، وكانت الزيارة الرسمية له إليها بعد تسلمه مقاليد الحكـم، وقـد كانت هـذه الزيارة تأكيـداً على العلاقـات الودية بين السعودية وبريطانيا. ولحق هذه الزيارة الرسمية للملك فهد، أخرى خاصة في العام نفسه.